

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يجمع الكلمة ولا يوحد فهم الدين ويقطع النزاع إلا الصحابة - رضوان الله عليهم -

ليس الصحابة بأنبياء، ولو كان بعد نبينا نبي لكان منهم، ومع هذا فالناقل للدين وحيًا هم وحدهم، ولا يمكن فهم هذا الوحي فهمًا صحيحًا إلا بفهمهم، وهذه فضيلة وكرامة من الله - عز وجل - للصحابة هي من أعظم كراماتهم؛ وهي أن دين الإسلام لا يؤخذ إلا عنهم رواية وفهمًا.

وإن كان الله - عز وجل - لا يخلق إلا بحكمة ولأسباب، فهم عاصروا نزول الوحي وباشروا النبي وعاشوا وقائع التنزيل، مع ما هم عليه من وفور الديانة وكمال العقل وحسن النظر وقوة الحفظ وفصاحة اللغة.

فكونهم في الصدارة في العلم كما هم في الصدارة في الإيمان واضح المعنى ومعقول جدًا، فضلًا عن الأدلة الخاصة في القرآن والسنة الدالة على فضائلهم الإيمانية والعلمية والحائثة على اتباعهم.

ومن أقوى وأدق عبارات العلماء في الدلالة على هذا المعنى قول ابن تيمية - رحمه الله -: من فسّر القرآن أو الحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفترٍ على الله، ملجِدٌ في آيات الله، مُحَرِفٌ للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام. اهـ (٢٤٣/١٣ مجموع الفتاوى).

لأنك إذا تركت هذا الاعتبار فسيكون الدين مسرحًا للآراء ومرتعًا للأهواء، مما يؤدي إلى مضادة ما يريد الله ومناقضته، فضلًا عن تفرق المسلمين وفساد ذات بينهم.

ولذلك فأني مستدل بكلام أحد من أهل العلم غيرهم سينازع بكلام غيره من أهل العلم ممن هو في مرتبته أو أعلى منه، إلا الصحابة فأقوالهم تأتلف وكلماتهم لا تختلف، فإذا اختلفوا في شيء فإما أن يكون فيه سعة وتنوع وزيادة خيارات، أو يفصل فيه الكتاب والسنة، وهو قليل قضاه الله بحكمته حتى لا يكونوا في أفرادهم معصومين وتكون العصمة منحصرة في النبي -صلى الله عليه وسلم-

ولو رحت تنظر في الأقوال العقدية أو الاختيارات الفقهية بموجب كل ما قيل في الإسلام إلى الآن وتجعله سائغ الاتباع، فقد فتحت باب هدم الإسلام على مصراعيه؛ لأنه حتى الله -عز وجل- نفسه قد اختلف فيه أهل البدع ولم يختلف فيه الصحابة -رضوان الله عليهم-، ومصدر الاحتجاج والأحكام اختلف فيه أهل البدع ولم يختلف فيه الصحابة، وتزكية النفوس وتطهير القلوب اختلف فيها أهل البدع ولم يختلف فيها الصحابة؛ فمن توحيد الله ومعرفته إلى اتباع النبي والائتساء به موضع إجماع تام بين الصحابة -رضوان الله عليهم-.

وإن من أعظم مصائب الإسلام التي وقعت: وجود كثرة كثيرة من كتب تنسب للعلم تخلو من كلام الصحابة والنقل عنهم أو مذاهبهم!

وصار العكوف على كلام ومذاهب غيرهم من أهل العلم -رحمهم الله- ممن جاء بعدهم بسنين طويلة سنة مطروقة ينافح عنها، بينما صار المذكر ببناء العلم على ما جاء عن الصحابة متهمًا بالخروج عن سبيل أهل العلم! وكأنما يراد إبقاء منزلة الصحابة -رضوان الله عليهم- تشريفية تجميلية تكميلية، كشعار فضيلة فقط ليس للعلم بها صلة مباشرة في التلقي، وكأن الشافعي -رحمه الله- كان يسبح في خيال حين يقول: العلم يؤخذ من فوق؛ من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.

واعتبار أقوالهم في الدين موضع إجماع بين علماء الإسلام وأئمة في كل العصور.

فكيف يطيب لمتفقه ومتدين أن يتفقه ويتعلم من غير أن يرفع رأسًا بالصحابة وأقوالهم؟! وهو الأمر الواجب المتفق عليه.

ويجب أن يكون على الأقل شعارًا ودثارًا وطريق علم وعمل لمن يزعم اتباع الحق والسنة.

فما بالك بمن يزدري ذلك أو ينتقصه، أو يعتبر العناية به خطأ، أو غلوًا في الدين، أو قطع طريق عن سبيل العلماء؟!!

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

كتبه: الشيخ أحمد السبيعي حفظه الله تعالى

الأربعاء ٢٢ محرم ١٤٤٥ هـ

الموافق ٩ / ٨ / ٢٣ م